المقدمـــة

إن الإنسانية تعيش حالة من الصراع الفكري الـذي يتولـد فيـه تيـارات فكرية نتاج التراكم المعرفي، وعبر الصراع المستمر بـين الماديـة والروحانيـات، وقد لعبت الفلسفة الدور الرئيس في إيجـاد منظومـات إيديولوجيـة بـدءاً مـن الفلاسفة الإغريقيين أمثال أرسطو وأفلوطين، وعـبر الترجمـة ظهـرت فلـسفة عربية إسلامية تأثر بعض رجالها أمثال ابن سينا والكندي والفارابي وابن رشد بأولئك الفلاسفة، حتى الغزالي في بدايته الذي قـام لاحقـاً بـالرد عـبر تهافـت الفلاسفة وجابهه ابن رشد بتهافت التهافت، ونـشأ مـن خلالـه تيـار عقـلاني يتمثل بالمعتزلة، وتوقف الدعم لهذا التيار عندما انتـصر الـسلفيون بـدعم مـن الدولة العباسية بعد المأمون.

ولو أن التيار العقلاني الذي اعتمـده ابـن رشـد وأثـر في الفلـسفة الغربيـة ودرست كتبه في جامعات أوروبا استمر بتصاعد مـتلائم مـع مقاصـد الـشريعة وبدون التأثر بفكر أرسطو لأتيح للفكر الإسلامي العقلاني أن يأخذ دوراً إيجابيـاً متصاعداً ومستمراً في إيجاد مناهج قرآنية إسلامية عقلانية، ولكن الهجوم الكبـير على الرشدية وعلى الفلاسفة العرب والمسلمين من قبـل الـسلفية، أضـعف هـذا التيار وساهم في إيقاف التقدم والنهضة بعد القرنين السادس والـسابع الهجـريين مع استمرار الهجوم الصليبي والمغولي عـلى العـالم الإسـلامي. كـل هـذا أدى إلى ركود وجمود هائل في الفكر الإسلامي ولم يظهر على الساحة العربية والإسـلامية عمالقة في الفكر والفلسفة، ساهم في هذا الركود شخصيات أمثال ابن تيمية وابن القيم بالهجوم على المنطق والفلسفة حتى وصلوا إلى التكفير لمن يخـوض في هـذه العلوم واعتبروها علوماً وافدة وغريبة وبذلك حجموا التيار العقلاني الإسلامي.

ونقلت العلوم العربية والإسلامية إلى الغرب بدءاً من القرن الخامس عشر الميلادي، حيث ظهرت تيارات فلسفية غربية استمدت الكثير من العلوم في الأندلس التي كانت محطة ومكاناً للمعرفة حتى نهايتها.

وأقرت زيغريد هونكه عبر كتابها (شمس العرب تسطع على الغرب) وكتابها العقيدة والمعرفة بأن الحضارة الغربية عالة على نتاج الحضارة العربية الإسلامية، كما اعترف جوستاف لوبون، وأرنولد توينبي، بأثر الحضارة العربية الإسلامية في نهضة أوروبا الحديثة.

ومن جراء الصراع بين الكنيسة والعلماء والفلاسفة وإيجاد محاكم التفتيش وجدت القطيعة بين الفلاسفة والكنيسة، ولكن الفلاسفة استمروا بالصمود حتى أنتجوا فلسفة مثالية ومادية، وظهر ديكارت وكانت وهيجل وماركس وإنجلز وفولتير ولوك وهوبس وجون ديوي وفورباخ وجان جاك روسو وجان بول سارتر، وظهرت تيارات المادية الجدلية والديالكتيك الهيجلي الذي اعتمد عليه ماركس في إيجاد الماركسية. وظهر تيار الفلسفة التحليلية والواقعية والتشكيكية. وتنامت الأفكار الشيوعية، والليبرالية، والوجودية، واللامنتمي، والفوضوية، وأفرزت حضارة غربية اعتمدت على الفيزياء الحديثة والرياضيات، والنسبية، بظهور علماء كأنشتين ولافوازيه وبسكال، والميكافيلية السياسية والبراغماتية النفعية.

وعبر تصاعد التراكمات الفكرية الحديثة تسارعت النهضة الصناعية والمعلوماتية والالكترونيات وظهرت نظريات اقتصادية ساهمت في صعود الحضارة الغربية وبعد أن استلبت المواد الخام من الدول التي استعمرتها أوروبا من آسيا وإفريقيا وأمريكا الجنوبية.

ولا بد لنا من دراسة كل أو بعض هذه التيارات الفكرية لمعرفة أسباب وازدهار الحضارة الغربية، وتتسارع هذه الحضارة بالصعود للعديد من مراكز البحث العلمي، وانتشار الجامعات والمراكز الإستراتيجية العلمية في أوروبا وأمريكا واليابان حتى الصين.

وأدى تصاعد الحركات الإسلامية في نهاية القرن العشرين إلى تشكيل حوارات للعمل الجاد وعبر المؤامرات لإيقاف هذا المد الإسلامي، والعمل إلى تمزيقه والإيحاء للدول التي تسير في ركب الغرب لإيجاد العوائق المادية والمعنوية لإيقاف أي مبادرة للنهضة والتقدم في العالم العربي والإسلامي.

ولكن دول شرق آسيا كسرت هذه العوائق واستمرت في العمل والبحث والاستفادة من تمويل الشركات المتعددة الجنسية للنهضة في ماليزيا وسنغافورة وإندونيسيا وتايوان.

ولا ننسى أن الغرب أوقف النهضة المصرية في عصر محمد علي باشا ومنعته من التقدم وحاصرته بكل قواها لتستمر هذه الدولة ومع جيرانها بأن تكون أسواقاً استهلاكية لمنتوجات الغرب.

وإن زرع الكيان الصهيوني في قلب الوطن العربي ساهم في إشغال العالم العربي بحروب كثيرة ولتمويل ميزانيتها للدفاع، وإيقاف مشاريع التنمية والنهضة والتقدم.

وظهرت أفكار خطيرة بعد أحداث 11 أيلول وقبلها وأهمها صراع الحضارات وصدامات هذه الحضارة، والخوف من تشكيل دول المركز للعالم الإسلامي ويراهنون على تركيا في حال القطيعة مع العلمانية والانفكاك من أسر العسكريين المراقبين للتيار العلماني لأتاتورك.

فصدام الحضارات لصموئيل هنتنغتون ونهاية التاريخ لفوكوياما أظهر خوف الغرب من تعاون الحضارة الإسلامية مع الصين لأنهم يمثلون نصف سكان العالم تقريباً.

وخلال القرنين الماضيين حاولوا نشر تيارات فكرية وجماعات إسلامية كالقاديانية التي تطورت إلى الأحمدية، والبهائية، والبابية، وتيارات أصولية جهادية تكفيرية وتنامى حزب الإخوان المسلمين وحزب التحرير، والحركة السلفية الوهابية وما أنتجته الحروب في أفغانستان من الأفغان العرب، والقاعدة التي يقودها ابن لادن وتحويل الفصائل الفلسطينية إلى جماعات تحمل شعارات إسلامية كحماس والجهاد وكتائب الأقصى، كل هذا أدى إلى آثار كبيرة على القضية الفلسطينية وعلى العالم العربي والإسلامي.

وإن الثورة الإسلامية في إيران أدت إلى تنامي الفكر الشيعي في العالم العربي والإسلامي ولم يساهم في جمع الصف وتوحيد الكلمة، إلا أن حزب الله في لبنان أدى دوراً هاماً في انتصاره الكبير على الكيان الصهيوني، وإجباره على الانسحاب من جنوب لبنان وكسب تأييد الشارع العربي وبعض الحكومات العربية والإسلامية كما ساهم في إيجاد اللحمة بين الشيعة والسنة عبر هذا الانتصار الرائع. ولكن ما تقوم به أمريكا لإيجاد الشرق الأوسط الجديد عبر التقسيم الجغرافي، والتقزيم وإيجاد كيانات صغيرة تخدم مصالحها في المنطقة. كما أن احتلال العراق وأفغانستان أدى دوراً كبيراً عكسياً لدى المفكرين والفلاسفة العرب والمسلمين لإيجاد الأساليب والأفكار التي تحاول أن تجمع الكيان العربي والإسلامي لإنهاء هذا الاحتلال، وإعاقة مقاصده الاقتصادية التي أهمها الهيمنة على النفط في الخليج العربي وحول بحر قزوين، تيارات

فكرية وفلسفية وعقدية تنامت عبر القرن التاسع عشر والعشرين ستؤدي إلى نتائج خطيرة إذا لم تجتمع كلمة العرب والمسلمين بتشكيل اتحاد عربي قوي، وسوق اقتصادية عربية وإسلامية، وتحالفات إستراتيجية مع الصين وروسيا والهند وتبادل التجارة البينية، والتصدي للإعلام المتصاعد المؤثر في الشارع العربي والإسلامي.

وآمل في عرض بعض هذه التيارات أن يسهم في الوعي، والرغبة والأمل المستقبلي لهذه الأمة راجياً من العلي القدير أن يكون لبنة في السلام العالمي والتعاون المستمر الجاد، ونشر الثقافة الإسلامية والإنسانية الراشدة لتحقيق العدل والسلام والبلوغ إلى الحق المطلق الذي يسهم في إيقاف الحرب التدميرية الشاملة لكرتنا الأرضية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المؤلف